العرب
الإثنين 2021/03/22
السنة 43 العدد 12007

«متزامن» فيلم خيال علمي بمذاق عاطفي

حبوب مُطوّرة تقود البشر في رحلة غرائبية عبر أزمنة وأمكنة مُتغيّرة

ترتبط قصة الانتقال عبر الزمن بمساحة وافرة من التحدّي والخيال في آن واحد؛ فمن جهة التحدّي كان ولا يزال الدافع هو التخلّص من قيد الماضي والسعي للعودة إليه، ومن جهة أخرى هناك غاية واحدة هي تغيير المصير أو القضاء والقدر، وهو ما شاهدناه في عدد من أفلام الخيال العلمي، وبذلك اقترن التحدّي بعنصر الخيال.

مسعفان في رحلة إنقاذ مستحيلة

طاهر علوان
كاتب عراقي

قصة الرحيل عبر الزمن بوصفها هدفا وغاية بشرية وحتى خيالية ستختلف كليا عندما تكون أمرا واقعا أو سيقع بالمصادفة، وذلك ما عشناه مع أحداث فيلم "متزامن" للمخرجين جاستن بينسون وآرون مورهيد.

هذا الفيلم الذي يحتمل الكثير من عدم التوقع والغرابة والمفاجأة يخرج عن سياق الأفلام المعتادة عن الرحيل عبر الزمن إلى قضية أخرى هامشية وجانبية، تبدأ عندما يكتشف اثنان من المسعفين، وهما ستيف (الممثل أنطوني ماكي) ودينيس (الممثل جامي دورنان) وقوع حوادث عنيفة بالتزامن مع استخدام نوع من الحبوب التي لم يكن أحد يعلم عنها شيئا.

> الاشتغال على الجانب النفسي وعلى الذاكرة النشيطة وصور الماضي كان علامة فارقة في الفيلم الجامع بين الواقع والخيال

ففي كلّ حادثة كان ستيف بذكائه وفطنته يجد علبة واق ذكري بجانب الضحية، ويجد الضحايا في أجواء غرائبية مثل استخدام أحد أفراد العائلة السيف للإجهاز على الآخر، وفي حادثة أخرى امرأة تتعرّض لعضة أفعى مع أنها كانت في فندق فخم مع صديقها الذي يكون قد رمى نفسه من المصعد، ثم يعثر ستيف على قطعة معدنية تعود إلى زمن مضى.

كل ذلك يدفع ستيف إلى التحرّي عن هذه المصادفة بوجود ذلك الواقي الذكري بجانب الضحايا، ثم يذهب إلى إحدى الصيدليات ويشتري جميع ما لديها من ذلك النوع من الواقي الذي لم يكن في الحقيقة سوى غلاف خارجي لتلك الحبّة الخطيرة.

فكرة غير المتوقّع تبقى هي السائدة في الفيلم، وتبنى عليها مسارات الدراما الفيلمية وكذلك إيجاد مسار سردي آخر من خلال الاكتشاف غير المتوقّع بوجود مطوّر لذلك النوع من الحبوب، وهو الدكتور كرماني (الممثل رامز منصف) الذي يتسلّل إلى منزل ستيف ويختبئ في خزانة ملابسه ليعلن أمامه قصّته بالكامل، وأنه تحايل على قوانين الدواء وطوّر نوعا من الحبوب تضرب الغدة الصنوبرية المسؤولة عن دورة الزمن بالنسبة إلى الإنسان.

وبالتالي لا تتوانى تلك الغدة عن إفراز ما فيها بكثافة ما يجعل الدماغ يشتغل بشكل يمنح الإحساس بمكان وزمان جديدين، على أن توبة الطبيب كرماني لن تجدي نفعا، لاسيما وأن خبرا لاحقا عابرا عبر الراديو يقول إنه مات.

وما بين هذه الدراما المتصاعدة وبين يومياته يمضي ستيف وقته بعد أن يكتشف أنه مصاب بورم في الدماغ لن يمهله طويلا، ولهذا يقرّر خوض التجربة وابتلاع واحدة من تلك الحبوب وتوثيق ما سوف يجري له بتسجيل ذلك عبر الكاميرا.

يصبح هاجس ستيف هو التحرّي عن كيفية الانتقال عبر الزمن في ثيمة تتجدّد هنا بطريقة مختلفة، فهو لا يدرك تماما إلى أي زمان أو مكان سوف ينتقل، فتارة إلى منطقة قطبية متجمدة وتارة إلى مناطق أقوام وحشية سوف تطارده، وهكذا في انتقالات متواصلة وكارثية يعود منها بصعوبة بفضل ابتلاعه حبّة أخرى.

بينما تتهمّش حياة صديقه دينيس هي الأخرى بالتزامن مع اختفاء ابنته بسبب ابتلاعها الحبّة ذاتها، وبذلك يدرك ستيف أن الفتاة موجودة في أحد الأماكن التي سوف يذهب إليها بفضل ابتلاع ذلك النوع من الحبوب.

يتميّز الفيلم خلال ذلك بإيقاع متوازن وفيه الكثير من المفاجآت والتحوّلات، وهي ميزة أخرى تتكامل مع سيرة اليوميات التي يعيشها المسعفان وهما ينتقلان روتينيا من ضحية إلى أخرى دون أن يكتشف أي أحد ذلك اللغز.

وشكّلت الانتقالات المكانية تنويعا إضافيا، لاسيما مع توثيق ستيف مراحل انتقاله إلى تلك الأماكن التي يبحث فيها عن ابنة صديقه، حيث ينتقل المسار السردي في الفيلم إلى مهمة إنسانية نبيلة هي إنقاذ ابنة الصديق التي واكب زواج والديها، وهو الذي عرّفهما ببعضهما البعض، وهو أيضا الذي حملها بين يديه وهي رضيعة، لهذا يشعر بأن عودة الفتاة هي بمثابة عودة اللحمة إلى تلك الأسرة التي تكاد تتحطّم من شدة الحزن على فقدان الفتاة والعجز عن العثور عليها.

الاشتغال على الجانب النفسي وعلى الذاكرة النشيطة وصور الماضي كان علامة فارقة أخرى في هذا الفيلم، فجميع هذه المنظومة التعبيرية كانت تنساب بعناية وفي توقيتات مناسبة تماما في المسار الفيلمي، والتي سوف ننتهي منها بحصيلة مفادها تلك الحياة البسيطة والفقيرة لستيف التي يفتقد فيها الزوجة والأسرة والأبناء والتي سوف تنتهي به إلى التضحية بنفسه لإنقاذ ابنة صديقه وانتشالها من الماضي.

تتكامل في هذا الفيلم القضية الإنسانية والانتقال عبر الزمن مع تفاصيل مفردات الحياة اليومية في مزيج فيه الكثير من متعة المشاهدة، مع إيقاع متوازن وأداء هادئ ومتزن للشخصيات وسط مساحة واسعة من التحوّلات التي تخدع المُشاهد للوهلة الأولى، وخلال ذلك لا تملك إلاّ التعاطف مع ستيف وهو يعاني صامتا، ثم وهو يخوض التجربة من أجل إرشاد الآخرين ليختتمها بإنقاذ ابنة صديقه في مقابل بقائه مفقودا في عالم آخر مجهول.

«جزيرة العبيد» باروديا يتبادل فيها الأسياد والخدم مراكزهم

"جزيرة العبيد" المسرحية التي انتقد فيها ماريفو الميز الطبقي في النظام القديم، بين أسياد وعبيد، عرضت مؤخرا في لوفسيان إحدى ضواحي باريس، في إخراج حديث لإيرينا بروك، ابنة رجل المسرح الشهير بيتر بروك، وتمّ نقلها عبر قناة فرنسا الرابعة.

أبوبكر العيادي
كاتب تونسي

نشأت إيرينا بروك في وسط فني، فهي ابنة بيتر بروك المخرج المسرحي الشهير، وناتاشا بارّي الممثلة البريطانية المعروفة. بعد دراسة الفن الدرامي في نيويورك والمشاركة في أعمال درامية ببرودْواي استقرت في لندن، وشاركت كممثلة في أعمال مسرحية وسينمائية وتلفزيونية كثيرة، سواء في إنجلترا أو فرنسا، حيث كانت تتنقل بين لندن وباريس للمساهمة في مسرحيات من إخراج والدها في مسرح "بوف دو نور".

بدأت الإخراج عام 1996 بمسرحية "دابّة تحت القمر" للأميركي رتشارد كالينوفسكي، التي فازت بخمس جوائز في مسابقة موليير. ثمّ أردفتها بمسرحية شكسبير "كل شيء بخير إذا انتهى بخير"، تلتها أعمال أخرى لكبار المؤلفين كتينيسي وليامز وبرتولد بريخت وتورتون ويلدر، وآخرها مسرحية "جزيرة العبيد" للفرنسي ماريفو (1688 – 1763).

هي مسرحية من فصل واحد وأحد عشر مشهدا، تستند إلى سردية بسيطة، ولكنها مبنية بإحكام، ظاهرها كوميديا ساخرة، وباطنها أليغوريا تنتقد ممارسات العهد القديم في فرنسا، حين كان الشعب مقسما إلى طبقة أسياد نبلاء وطبقة غوغاء أقرب إلى العبيد.

تروي قصة إيبيكراف وزوجته أوفروزين بعد أن ألقت الأمواج بمركبتهما رفقة خادميهما أرلوكان وكليانتيس في جزيرة يسكنها أخلاف عبيد تخلصوا من التبعية الاجتماعية، وأصروا على أن يتحرّر الخادمان مثلهم أيضا، ولكن بقلب الأدوار هذه المرة، ليصبح الخادم هو السيد والسيد هو الخادم، ولا يمكن لإيبيكراف وزوجته أن يركبا البحر من جديد للعودة من حيث جاءا إلاّ إذا فهما التجاوزات التي قاما بها من قبل إزاء مخدوميهما.

كذلك قرّ قرار تريفلان سيّد الجزيرة وحاكم هذه الجمهورية الجديدة، وضامن حقوق من يقيمون بها، وقد رأى أن مهمّته إعادةُ السيّدين إلى الصواب والسهر على شفائهما. وبذلك أمكن للخادمين اللذين تحليا بإهاب الأسياد الجدد أن يثأرا من أعوام العبودية التي عاشاها، بتسليط نفس الإهانات التي كانا يتلقيانها من سيّدهما وزوجته، وتكليفهما بنفس الأعمال الشاقة التي كانا يخضعان لها.

> المسرحية تستند إلى سردية بسيطة، ظاهرها كوميديا ساخرة، وباطنها أليغوريا تنتقد الممارسات الطبقية البغيضة

ولكن سرعان ما اكتشفا سكر السلطة، وما يمكن أن تولّده في صاحبها من قسوة، وشيئا فشيئا يشرع أرلوكان وكليانتيس في الرفق بسيّديهما، والإشفاق على وضعهما البائس، ويلحان في النهاية على أن يستعيد كل فرد مكانه السابق.

وعندما لاحظ تريفلان تصالح كل زوج مع الآخر، واطمأن إلى أن الجميع فهم ما له وما عليه، تركهم يرحلون، وهو يأمل ألاّ ينسوا هذه الإقامة بجزيرة العبيد، التي تعلي شعار المساواة بين سائر الأجناس، لا فرق بين أبيض وأسود، أو سيّد ومَسود.

هذه المسرحية تحتل مكانة خاصة في رصيد ماريفو، فقد عدّها الناقد سانت بوف ثورية تستعيد الفكرة التي قامت عليها أعياد ساتورناليا في العهد الروماني القديم، حيث كان الرومان يحتفلون بالإله زحل، قبيل الانقلاب الشتوي كل عام، فتنتفي خلال أسبوع الفوارق الاجتماعية وتُستبدل الأدوار بين الأشراف والغوغاء، ويسمح للعبيد بالتطاول على أسيادهم والسخرية منهم وحتى نهيهم وأمرهم.

وقد غلّف ماريفو مسرحيته بملامح إغريقية من جهة غرق السفينة وأسماء الشخصيات والجزيرة المعزولة لكي يبعد الشبهة، غير أنها كانت نقدا لاذعا للوضع الذي قامت ضده الثورة الفرنسية، ووسيلة للكشف عن غياب العدل في نظام اجتماعي قائم على صدفة المولد. وقد وجدت هذه الإدانة في سردية تقع في جزيرة نائية خدعة لتجنب رقابة ذلك الوقت، لأن الرحلة الخيالية تفتح على تأمل سياسي وأخلاقي قد يبدو مثيرا لو تنزّل في اللحظة التي يعيش فيها الكاتب.

ولكن هذه الباروديا ليست مجرّد أضحوكة، بل هي هجاء لمجتمع الأسياد، فعندما يتحلى الخدم بلبوس أسيادهم تتبدّى خصال علية القوم مجرّد مظهر، حيث النفاق والعواطف الزائفة المبنية على المصلحة، لنكتشف في النهاية أن اختلاف الوضعيات الاجتماعية ليس سوى كوميديا يغلب عليها الرياء والزيف.

تقول أوفروزين وهي تحاول التصدّي لإغراء خادمها أرلوكان بعد أن غدا سيّدًا "لقد أصبحتَ حرًّا وسعيدًا، فهل سيجعلك هذا شريرًا؟"، عندئذ يدرك الخادم أن ملاحظتها تصيبه في الصميم، لكونه عانى من تلك الوضعيات بشكل مؤلم، فيقرّر أن يكون أرحم من سيّدته. لأن تذكّر النكاية والإهانة التي يكون الشخص ضحيتها يجب ألاّ تغذّي لديه رغبة الانتقام، بالعكس، ينبغي أن تساعده على فهم ما يحسّ به غيره من ألم. وحسب هذا الموقف أن يكشف للأسياد إلى أيّ حدّ كانوا بغيضين في التعامل مع خدمهم.

ولئن حافظت إيرينا بروك على الأسماء اليونانية لأبطال المسرحية فإنها غيّرت حادثة الانطلاق من غرق سفينة إلى سقوط طائرة مسافرين، مثلما غيّرت أجواء الجزيرة، وأضفت عليها ملامح حداثية كموسيقى الجاز، وأزياء الشخصيات التي تذكّر بفناني السيرك، وبعض العبارات التي تحيل على الزمن الراهن، وأدخلت عليها بعض ملامح مسرح البولفار.

حكاية من الماضي بملامح مسرح البولفار

روثكو ورحلاته الروحية

فاروق يوسف
كاتب عراقي

لوحات الأميركي مارك روثكو (1903 – 1960) تسكن المتاحف الآن وتُباع إن عرضت في المزادات بعشرات الملايين من الدولارات. ولأن روثكو ظاهرة فريدة من نوعها في تاريخ الفن فلا أحد يجرؤ على السؤال عمّا يعنيه في لوحاته، وإن سأل فهناك المئات من الإجابات التي يتميّز معظمها بالغموض.

غير أن موته منتحرا في إمكانه أن يفتح الباب للاستفهام عن حياته المربكة. هناك تناقض مرير بين ما يشعر المرء به من سعادة وهو يرى لوحات روثكو وبين حالة اليأس التي دفعت رسام تلك اللوحات إلى الانتحار "لقد انتهت الأسباب التي تدفع بالمرء إلى الاستمرار في مزاولة الحياة" كما لو أن الحياة مهنة، يقرّر المرء اعتزالها متى يشاء.

تلك صورة كئيبة تركها الرجل القادم من لتوانيا مهاجرا ولم ينسجم مع المزاج الأميركي القائم على الاستهلاك السريع. لم تكن أعماله التي تم تصنيفها ضمن تيار التجريدية التعبيرية والتي صارت واجهة لأميركا في بداية غزوها العالم لتعبّر عن رغبة في الغزو والذهاب بعيدا عن المرسم، هناك حيث تطوف روح الرسام.

ولكنها وقد تم تسويقها في العالم في سياق دعاية سياسية جذبت إليها الأنظار ووجد نقاد الفن فيها ما يشير إلى تحوّل خطير في سبل الرؤية. ذلك لم يقنع روثكو ولم يخرجه من دائرة حزنه القديم. كان روثكو يشك في أن حواره الغامض مع روحه المعذبة قد صار مفهوما بحيث يجري تداوله باعتباره لغة سائدة بين المريدين المأخوذين بسحره.

لقد أجهضت السياسة فكرته عن رحلاته الروحية التي قال عنها الكثير من الكلام الذي تحوّل إلى مقولات ذهبية لا تزال تجري على ألسنة الفنانين المهمومين بأسرار تلك الرحلات. هل كان روثكو يحدث كائنات تقيم في عالم غير مرئي؟ لم يكن هناك شيء يُرى ليُرسم.

غير أن ذلك العالم غير المرئي الذي رسمه روثكو يظل كامنا ومقيما بعمق في لوحاته ذات الألوان الصافية. لا يمكن للمرء حين يراها إلاّ أن يحبها. لن يسأل نفسه "لمَ أحببتها؟" بل سيبحث عن المواقع التي تنبعث منها أسباب ذلك الحب.

مارك روثكو رسام الأشياء التي لا تُرى